

الوارث -١٩-
نشرة شهرية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
جمادى الثانية ١٤٣١هـ/أيار-حزيران ٢٠١٠م
أسعد الله أيامنا
وأيامكم بمناسبة مولد
سيدة نساء العالمين



نفحات

سلسلة ثقافية عامة

صفحات الوارث

٢ قطوف دانية من السيرة الفاطمية
مولد فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

٤ قطوف دانية من السيرة الحسينية / ثواب زيارة أهل البيت عليهم السلام

٦ في رحاب علوم القرآن / القرآن ومعارفه الاعتقادية

٨ على ضفاف نهج البلاغة / المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة
القسم الرابع: العمّال ومن لا يستطيعون عملاً

١٠ محطات ثقافية / المثقف والمجتمع

١٢ أخلاقك هويتك / الطريقة المثلى لتربية النفس ومجاهدتها

١٤ مباحث عقائدية /
الآثار التربوية للبلايا والمصائب والأمراض على رقي الإنسان وتكامله

١٦ أعلام الشيعة / أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام

١٧ عبرٌ من التاريخ / العلامة الحلي والإعلان الرسمي عن المذهب الجعفري

١٨ شؤون الأسرة / أسباب الإهتمام الزائد عن الحد بالطفل الأول

٢٠ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
خبر ابن مهزيار الأهوازي مع الإمام المهدي عجل الله فرجه

٢١ معارف عامة / الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

نلفت عناية الأخوة المؤمنين إلى أن هذه النشرة تحتوي على كلمات مقدسة لذا نرجو عدم رميها في أماكن لا تليق بها أو حرقها أو استخدامها فيما يعد إنتهاكاً لهذه الكلمات ولكم الأجر والثواب...

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
– وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ – ١٢١١

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ – داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org



سرّ الزهراء المستودع

دأب محبو وشيعة الزهراء سلام الله عليها على التوسل بهذه العبارة التي تحمل الكثير من المعاني، والغزير من العلم ألا وهي «اللهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها». وقبل أن استعرض المعاني التي أشار إليها أهل العلم عن «السر المستوع» لابد أن أبيّن أن هذه العبارة ليست من انشاء المعصوم بل هي قول ورد على لسان بعض أهل العلم، ومما أوصى به السيد المرعشي النجفي المرجع الكبير في زمانه ابناءه وخصوصاً الكبير منهم هو المداومة على قراءة هذا الدعاء الشريف فقال: «أوصيه – أي انه الأكبر – بمداومة قراءة هذا الدعاء الشريف في قنوتات فرائضه: اللهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله».

لا شك في ثبوت صحة التوسل بالسيدة الزهراء عليها السلام نالها من المقام العالي والرتبة السامية بين أهل بيت العصمة عليهم السلام إذ أنها حجة الله تعالى على المعصومين كما ورد ذلك عن امامنا العسكري عليه السلام إذ قال: «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة علينا» وما ورد في دعاء التوسل المروي عن أهل البيت عليهم السلام يؤكد مقامها ووجاهتها عند الله تعالى ولكي لا نبتعد عن تفسير الدعاء الذي افتتحنا به كلمتنا نقول باختصار للسر المستودع احتمالات تفسيرية متعددة:

الأول: قد يراد به الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا.

الثاني: قد يراد به الولاية التي في ذريتها.

الثالث: قد يراد به هو أمر أهل البيت عليهم السلام حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «إن أمرنا سر مستتر وسر لا يفيده إلاّ سر وسر على سر وسر مقنع بسر».

الرابع: قد يراد به هي العلوم الربانية المودعة عند فاطمة عليها السلام.

الخامس: قد يراد هي كونها المرأة الجامعة بين نور النبوة ونور الإمامة.

السادس: قد يراد به اسم الله الأعظم الذي حمله الحجج على العباد.

وهناك الكثير من الأسرار التي تحملها السيدة فاطمة عليها السلام لا يعرفها إلاّ أهلها لأن الخلق فطموا عن معرفتها.

المشرف العام

مولد فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين

متى ولدت السيدة الزهراء عليها السلام

قال الشيخ الكليني رحمه الله: «ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين»[١]. وولادتها عليها السلام في هذه السنة مما اجمع عليه علماء المذهب رضوان الله تعالى عليهم، وبه وردت أكثر من رواية عن الأئمة عليهم السلام منها ما روي عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما»[٢].

كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله، قلت له عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال: إن خديجة لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرها نسوة قريش، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذرا عليه. فلما حملت بفاطمة عليها السلام كانت فاطمة تحدثها من بطنها، وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله، فدخل صلى الله عليه وآله عليها يوما، فسمع خديجة تحدث فاطمة. فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني بأنها أنثى، وأنها النسل الطاهرة الميمونة وأن الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه. فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء. فأرسلن إليها: عصيتينا، لم تقبلي قولنا وتزوجت محمدا، يتيم أبي طالب، فقيرا لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئا. فاغتمت خديجة لذلك. فبينا هي كذلك إذا دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فانا رسل ربك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم ـ وهي رفيقتك في الجنة ـ وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم بنت عمران ـ أخت موسى بن عمران ـ بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة. فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض، ولا غربها موضع إلا أشرق من ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين بيد كل واحدة طشت من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن، وأطيب ريحا من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي محمد رسول الله، سيد الأنبياء، وأن بعلي علي سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك. وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مباركة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، وكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو في السنة[٣].

وهذا الحديث صحيح من حيث الإسناد وهو دليل على أفضلية فاطمة عليها السلام على النساء الأربع اللاتي هن سيدات نساء العالمين، لأنهن أمرن بخدمتها، والمخدوم أفضل من الخادم، وفي الحديث دلالة أيضا على علو مرتبتها صلوات الله عليها حتى على الحور العين لقيامهن على خدمتها أيضا. وفي الحديث أيضا إشارة على كمالها من حين ولادتها، وكمال توحيدها ويقينها وعرفانها وإيمانها بربها جل وعلا، وكذلك يثبت الحديث معرفتها بأسماء وأشخاص أولادها الذين سيعتلون منصب الإمامة بعد أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

موضع ولادة الزهراء عليها السلام يستجاب فيه الدعاء

قد ولدت الزهراء وفقا لأحاديث كثيرة في بيت خديجة في مكة وقد كان لهذا الحدث أثرا روحيا ومعنويا خاصا عمت بركته وروحانيته على سائر أجزاء بيت خديجة بل وسائر ارض مكة المكرمة، وحتى صار بيت خديجة ببركتها وبركة مولودها الطاهرة مكانا يستجاب فيه دعوة الداعين وتفريج كرب المكروبين حتى اشتهرت هذه الحقيقة على لسان المخالف والمؤالف وفي هذا الصدد يقول الشيخ أحمد الحضراوي وهو من أهل السنة في كتاب الدر الثمين في فضائل البلد الأمين: «إن العرصات المنيفة والأماكن الشريفة في مكة التي لا يرد فيها الدعاء هي: عند الحجر الأسود، والحطيم، والمستجار، وزمزم، والملتزم، وتحت الميزاب، وداخل الكعبة، وخلف المقام، وبيت خديجة»[٤].

شهادة أكابر علماء أهل السنة بكلام فاطمة عليها السلام في بطن أمها

منهم العلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) (ج ٢ ص ٢٢٧ ط القاهرة) قال: «قالت أمها خديجة رضي الله عنها: لما حملت بفاطمة كانت حملا خفيفا تكلمني من باطني».

ومنهم الشيخ عز الدين عبد السلام الشافعي في رسالته (مدح الخلفاء الراشدين) قال: «أنه لما حملت خديجة بفاطمة كانت تكلمها ما في بطنها وكانت تكتمها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليها يوما ووجدها تتكلم وليس معها غيرها فسألها عمن كانت تخاطبه فقالت: مع ما في بطني فإنه يتكلم معي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أبشري يا خديجة هذه بنت جعلها الله أم أحد عشر من خلفائي يخرجون بعدي وبعد أبيهم».

ومنهم العلامة شعيب أو مدين بن سعد المصري العمراوي في (الروض الفائق) (ص ٢١٤ ط القاهرة) قال:

«فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر قالت خديجة:

وا خيبة من كذب محمدا وهو خير رسول ونبي فنادت فاطمة من بطنها: يا أماه لا تحزني ولا ترهبي فإن الله مع أبي فلما تم أمد حملها وانقضى وضعت فاطمة فأشرق بنور وجهها الفضاء».

الله جل جلاله يرسل جبرائيل لإبلاغ فاطمة السلام

ذكر السيد المرعشي في شرح كتاب إحقاق الحق ان نزول جبرائيل لإبلاغ السلام والتحية من الله سبحانه قد رواه عدة من علماء أهل السنة منهم: الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في (ميزان الاعتدال) (ج ٢ ص ٢٦ ط القاهرة) قال:

روى عن ابن أبي القاضي، حدثني عبد الله بن جبير رجل من بني سعد، أنبأنا عبيد الله بن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: لما ولدت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم: سماها المنصورة فنزل جبرائيل، فقال: الله يقرؤك السلام ويقرئ مولودك السلام[٥].

قال السيد المرعشي:

«ومنهم العلامة العسقلاني في لسان الميزان (ج٣ ص ٢٦٧ ط حيدر أباد الكن) روى الحديث بعين ما تقدم عن ميزان الاعتدال»[٦].

ما ينبغي على الموالين فعله في هذا اليوم

أولا: إظهار الفرح والسرور إذ لا شك أن فرح الشيعة وسرورهم في هذا اليوم وإحيائهم لذكرى ولادة سيدة النساء يدخل السرور على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرضي رب العالمين ويوجب دخول الجنة.

ثانيا: إقامة المجالس ودعوة الناس عامة، ولاسيما بني فاطمة، وتبادل التهاني والتبريكات، وبيان مناقب فاطمة الطاهرة ومآثرها بكل اللغات نظما ونثرا، لتعمر قلوب المستمعين وتتنور بما تسمع، وتزداد معارفهم، ويزداد خلوصهم وتشتد محبتهم، فتنتشر هذه الظاهرة، وتعظم هذه الشعيرة.

ثالثا: والأفضل منه إعانة الفقراء من السادة والفاطميات ورعايتهم، خصوصا الشيوخ والنساء والأطفال منهم، بنية الإحسان والرعاية لذرية فاطمة ورجاء القرب والزلفى عند جدهم صلوات الله وسلامه عليها، وبهذا ندخل السرور على روح السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء من خلال إدخال السرور على قلوب ذريتها من السادة.

رابعا: الشكر الكثير لله سبحانه وتعالى قلبا ولسانا على هذه الموهبة الكبرى والنعمة العظمى التي منها علينا العلي الأعلى في هذا الشهر وفي هذا اليوم السعيد، هذه النعمة التي تجلت بولادة سيدة نساء العالمين وأم الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

فينبغي على الموالين أن يعرفوا إنّ لهذا اليوم قدره، بأن أخرج لهم بنت نبي خير من مريم بنت عمران، وأخرج منها أولادا جعلهم أركان الوجود وأعيان الجود.

فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حية وسلام عليها يوم تقف في ساحة المحشر تستنقذ شيعتها وتتشفع لهم عند الله فتشفع فيهم.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٤٥٨.
(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٧.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٩٠ ــ ٦٩٢. دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري: ص ٧٧ ـ ٧٩.
(٤) الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١، ص ٤٠٩.
(٥) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج ١٠، ص ١٣٤.
(٦) المصدر السابق.

ثواب زيارة أهل البيت عليهم السلام

(عن) محمد بن قولويه، عن محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد، عن سعد، عن اليقطيني، عن صفوان، عن الحسين بن أبي غندر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدمنا منه فأكل، ثم قام إلى زاوية البيت فصلى ركعات، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحد منا اجلالاً وإعظاماً له.

فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره وقال له: يا أبة لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيءٍ كسرورنا بدخولك، ثم بكيت بكاء غمنا، فما أبكاك؟

فقال: يابني أتاني جبرائيل عليه السلام آنفاً، فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى.

فقال يا أبه فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟

فقال: يابني أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق علي أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم و يسكنهم الله الجنة».

وفي أمالي الطوسي: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبيش، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان مثله.

روى الحر العاملي عن المجالس والأخبار، عن الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبشي، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين ـ في حديث ـ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى بكاء شديدا، فقال له الحسين: لم بكيت؟

قال: أخبرني جبرئيل أنكم قتلى ومصارعكم شتى.

فقال له: يا ابة فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟

فقال: يا بني أولئك طوائف من أمتي يزورونكم يلتمسون بذلك البركة، وحقيق علي أن آتيهم يوم القيامة فاخلصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم ويسكنهم الله الجنة».

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعملنا له حريرة، وأهدت إلينا امرأة قعباً من لبن وزبد وصحنة من تمر، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضّأتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح رأسه ووجهه بيده، ثم استقبل القبلة فدعا الله ما شاء الله، ثم أكب على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسأله، فوثب الحسين وأكبّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا ابت رأيتك تصنع ما لم نصنع مثله.



فقال: يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وان جبرئيل عليه السلام أتاني فأخبرني بما يصنع بكم وانكم تقتلون، فدعوت الله لكم بالخير.

قال الحسين عليه السلام: فمن يزورنا ويتعهد قبورنا؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: طائفة من أمتي يريدون بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف وأخذت اعضدهم فانجيتهم من أهواله وشدايده».

روي ايضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالساً وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال لهم: «كيف أنتم اذا كنتم صرعى وقبوركم شتى؟ فقال له الحسين عليه السلام: أنموت موتاً أو نقتل قتلاً؟

فقال: بل تقتل يابني ظلماً، ويقتل أخوك ظلماً، وتشرد ذراريكم في الارض.

فقال الحسين عليه السلام: ومن يقتلنا يا رسول الله؟

قال: شرار الناس.

قال: فهل يزورنا بعد قتلنا أحد؟

قال: نعم يا بني، طائفة من أمتي يريدون بزيارتكم بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة جئتها إلى الموقف حتى آخذ بأعضادها فأخلصها من أهواله و شدايده».

وروى ابن قولويه عن الحسن بن عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن شجرة، عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: امسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي، فيقول: يا أبة لم تبكي؟

فيقول: يا بني اقبل موضع السيوف منك وأبكي.

قال: يا أبة وأقتل؟

قال: إي والله، وأبوك وأخوك وأنت.

قال: يا أبة فمصارعنا شتى؟

قال: نعم يا بني.

قال: فمن يزورنا من أمتك؟

قال لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من امتي».

محمد بن الحسن باسناده عن سعد، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بينا الحسين بن علي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ رفع رأسه فقال: يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة.

ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً، ورواه ابن قولويه في المزار عن أبيه عن سعد مثله.

عن محمد بن أحمد بن داود، عن محمد بن الحسن الكوفي، قال: حدثني محمد بن علي بن معمر، قال: حدثنا محمد بن مسعدة، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران، عن علي أبي شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بينا الحسين عليه السلام قاعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ رفع رأسه إليه فقال: يا أبة، قال: لبيك يا بني، قال: ما لمن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلا زيارتك؟ فقال: يا بني من أتاني بعد وفاتي زائراً لا يريد إلا زيارتي فله الجنة».

قال ابن قولويه: حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى عن المعلى بن أبي شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « قال الحسين بن علي عليهما السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبتاه ما جزاء من زارك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني من زارني حياً أو ميتاً كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه».

قال الصدوق: حدثني حمزة بن محمد العلوي، رضي الله عنه، قال: حدثني أحمد بن محمد الهمداني، قال: حدثني علي بن حمدون الرواس، قال: حدثنا محمد بن الحسين القواريري قرابة يعلى بن عبيد، قال: حدثنا جعفر بن أمين الثغري، قال حدثنا عثمان بن عيسى الرواسي، عن العلاء بن المسيب، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام قال: «قال الحسين صلوات الله عليه: يا ابتاه ما لمن زارنا؟ قال: يا بني من زارني حياً وميتاً، ومن زار أخاك حياً وميتاً ومن زارك حياً وميتاً، كان حقيقاً علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه وادخله الجنة».

قال الكليني: عدة من أصحابنا، عن أحمد ابن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن المعلى بن أبي شهاب قال: قال الحسين لرسول الله: «يا أبتاه ما لمن زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة واخلصه من ذنوبه»[1].

---

١. موسوعة كلمات الإمام الحسين ـ معهد تحقيقات باقر العلوم، ص٨٧ـ٩٢.



من جملة وجوه الاعجاز: اشتمال القرآن على الاصول الاعتقادية، والمعارف القلبية الراجعة إلى وجود الباري وصفاته الجمالية والجلالية، وإلى ما يرجع إلى الانبياء واوصافهم الكمالية، وفضائلهم الاختصاصية، بنحو ينطبق على ما هو مقتضى حكم العقل السليم، والذوق المستقيم، مع ان المحيط الذي نزل فيه الكتاب لم يكن له سنخية مع المعارف والاصول، ووجه شباهة مع هذه الحقائق والمطالب فان هؤلاء الذين نشأ النبي بينهم، وفيهم على طائفتين: طائفة كثيرة كانت وثنية معتقدة بالخرافات والاوهام، وطائفة من اهل الكتاب كانت معتقدة بما في كتب العهدين المحرفة المنسوبة إلى الوحي، ولو فرضنا ان النبي لم يكن امياً ـ مع انه من الوضوح بمكان وقد ادعاه لنفسه مكرراً ولم يقع في قباله انكار وإلاّ لنقل كما هو ظاهر ـ وقد اخذ تعاليمه ومعارفه من تلك الكتب، وكانت هي المصدر لكتابه، والمأخذ لقرآنه: لكان اللازم ان ينعكس على اقواله ومعارفه ظلال هذه العقائد الموجودة في المصادر المذكورة، مع انا نرى مخالفة القرآن لتلك الكتب في جميع النواحي، واشتماله على المعارف والاصول الحقيقية المغايرة لما في تلك الكتب، من الخرافات التي لا ينبغي ان يشتمل عليها كتاب البشر، فضلاً عن الكتاب المنسوب إلى الوحي والنبي، وهذا الذي ذكرناه له مجال واسع، وعليه شواهد كثيرة، وأمارات متعددة، ولكنا نقتصر على البعض خوفاً من التطويل فنقول: غير خفي على من لاحظ القرآن، انه وصف الله تبارك وتعالى بما ينطبق على العقل السليم ويتمشى مع البرهان الصريح، فاثبت له تعالى ما يليق بشأنه من الصفات الجمالية، ونزّهه عما لا يليق به من لوازم النقص والحدوث، فوصفه بانه تعالى خالق كل شيء، وانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء. وانه الذي يصور كم في الارحام كيف يشاء، وانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، وانه الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، وانه سخر الشمس والقمر وانه عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم، وانه هو الذي ينزل الغيث، ويعلم ما في الارحام، وغير ذلك من الصفات الكمالية اللائقة بشأنه تبارك وتعالى، وكذا نزّهه عن ان يكون له ولد، وعن اخذ السنة والنوم له، وغير ذلك مما يلازم النقص والامكان.

وكذلك وصف الانبياء بما ينبغي ان يوصفوا به، وما يناسب ويلائم مع مقام النبوة، وقدس السفارة في آيات كثيرة، وان وقع من بعض المعاندين جمع ما يشعر بصدور مالا يلائم مع مقام النبوة، وقدس السفارة من الآيات الظاهرة بدواً في ذلك، ولكنه قد اجيب عنه باجوبة شافية، ونزه الانبياء من طريق نفس الكتاب، وبين ان التأويل في تلك الآيات، وضم البعض يرشد إلى خلافه.

وبالجملة: لا مجال للارتياب في ان الكتاب قد وصف الانبياء بكل جميل، ونزههم عن كل ما لا يليق، مع قداسة النبوة.

واما كتب العهدين: فتراها في مقام توصيف الله تبارك وتعالى، وتوصيف الانبياء السفراء مشتملة على مالا يرضى به العقل اصلاً، وما لاينطبق على البرهان قطعاً، وقد تعرض لكثير من هذه الموارد الشيخ العلامة البلاغي «قدس سره» في كتابي الهدى إلى دين المصطفى والرحلة المدرسية.

ومن جملة ذلك ما وقع في محكي الاصحاح الثاني والثالث من سفر التكوين من كتاب التوراة في قصة آدم وحواء، وخروجهما من الجنة، حيث ذكرت: «ان الله اجاز لآدم ان يأكل من جميع الاثمار الا ثمرة شجرة معرفة الخير والشر، وقال له لانك يوم تأكل منها موتاً تموت، ثم خلق الله من آدم زوجته حواء، وكانا عاريين في الجنة لانهما لا يدركان الحسن والقبيح، وجاءت الحية ودلتهما على الشجرة وحرضتهما على الاكل من ثمرها وقالت: انكما لا تموتان، بل ان الله عالم انكما يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما، وتعرفان الحسن والقبيح، فلما اكلامنها انفتحت اعينهما وعرفا انهما عاريان، فصنعا لانفسهما مئزراً فرآهما الرب وهو يتمشى في الجنة، فاختبأ آدم وحواء منه، فنادى الله آدم أين انت؟ فقال آدم سمعت صوتك فاختبأت، لاني عريان فقال الله: من اعلمك بانك عريان؟ هل اكلت من الشجرة؟ ثم ان الله بعد ما ظهر له اكل آدم من الشجرة فقال: هو ذا آدم صار كواحد منا، عارف بالحسن والقبيح، والآن يمد يده فيأكل من شجرة الحياة، ويعيش إلى الابد فاخرجه الله من الجنة، وجعل على شرقيها ما يحرس طريق الشجرة. وذكر في العدد التاسع من الاصحاح الثاني عشر: ان الحية القديمة هو المدعو بابليس، والشيطان الذي يضل العالم كله. وفي محكيّ الاصحاح الثاني عشر من التكوين.

«ان إبراهيم ادّعى أمام فرعون: ان سارة اخته، وكتم انها زوجته، فاخذها فرعون لجمالها، وصنع إلى إبراهيم خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال، وحين علم فرعون ان سارة كانت زوجة إبراهيم وليست اخته قال له: لماذا لم تخبرني انها امراتك؟! لماذا قلت: هي أختي حتى اخذتها لي زوجة؟! ثم رد فرعون سارة إلى إبراهيم».

انظر إلى القصة الأولى المشتملة على نسبة الكذب إلى الله جلا وعلا، ومخادعته لآدم في امر الشجرة التي كانت ثمرة الاكل منها حصول المعرفة بالحسن والقبح وادراكهما، وفي مقابله نصح الحية والشيطان لآدم، وهدايته إلى طريق المعرفة والادراك والخروج من الظلمة إلى النور، مضافاً إلى نسبة الخوف إليه تعالى من اكل آدم شجرة الحياة، ومعارضته اياه في سلطانه ومملكته، وإلى نسبة الجهل بمكانهما إليه تعالى حين اختبأ، وإلى اثبات الجسمية له تعالى بحيث يمكن له ان يتمشى في الجنة، ويرى على نحوها ما يرى الجسم، وبعد ذلك فهو صريح في عدم ثبوت الوحدانية له تعالى، فان قوله: «صار كواحد منا» صريح في عدم انحصار الالوهية في فرد، وعدم اختصار مفهوم الواجب بوجود واحد، مع ان نفس هذه القصة ـ مع قطع النظر عن هذه الإشكالات ـ لا يقبل العقل والذوق مطابقتها للواقع، فهي بالوضع اشبه. وانظر إلى القصة الثانية الدالة على ان إبراهيم ـ وهو من أكرم الانبياء واعظمهم ـ صار سبباً لاخذ فرعون زوجته، ولعل الوجه فيه هو الخوف مع انه لا يتصور فيه خوف، لان اتصافها بزوجة ابراهيم لايكاد يترتب عليه اثر سوء حتى يخاف منه ويسوغ لاجله الكذب في دعوى الاختية، مع انه على تقديره كيف يرضى الفرد العادي هذه الحالة ـ وهي شدة الخوف بذلك ـ فضلاً عن مثل إبراهيم، الذي هو الاساس، والركن العظيم في باب التوحيد والشريعة، وقصته في المعارضة مع عبدة الاصنام مشهورة.

فانقدح من ذلك: ان ملاحظة القرآن من جهة المعارف الاعتقادية، والاصول الراجعة إلى المبدأ واوصافه، والأنبياء وخصائصهم، مما يرشد إلى انصافه بالاعجاز، مع قطع النظر عن الجهات الكثيرة الأخر، الهادية إلى هذا الغرض المهم، والمقصد العظيم[1].

---

١. مدخل التفسير: الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، ص٧١ـ٧٥.



المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة



القسم الرابع:

العمال ومن لا يستطيعون عملاً

هذه الطبقة، طبقة الفقراء تتألف ممن لا يستطيعون عملاً، لعاهة فيهم لا يقدرون معها على العمل، أو لا يستطيعونه لكبر السن وضعف البنية، أو لا يستطيعونه لصغر السن كالأيتام الذين لا كافل لهم، أو يستطيعون ويعملون، ولكن عملهم لا يمدهم بالكفاية، ولا ييسر لهم مستوى لائقا من العيش.

هذه الطبقة تتألف من هذه الطوائف، وإذا لم تلاق عناية من المجتمع ينحرف قويها إلى طريق الجريمة، ويموت ضعيفها جوعاً، وهي في الحالين سبة وخطر على المجتمع. إذن فلابد من تدبير يدفع البؤس عن أفرادها، ويحول قويهم إلى خلية إنسانية عاملة وينهض بهم إلى مستوى الحياة الحرة الكريمة.

وقد سن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قانوناً تعامل به هذه الطبقة استجاب فيه إلى أحكام الإسلام.

وفي كلام الإمام عن هذه الطبقة نرى تشريعاً عمالياً ناضجاً إلى أبعد الحدود، ومستوعباً تمام الاستيعاب، وهو على نضجه الكامل واستيعابه التام، سابق للتشريعات العمالية الحديثة بأكثر من ألف ومائتي عام.

ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت طلائع الثورة الصناعية في انكلترا، وهي أول بلد أوروبي شهد الانقلاب الصناعي الحديث.

وقد تمت للثورة الصناعية عناصرها المكونة حين اخترع البخار كقوة محركة، وعمم في صناعة المحركات. واستتبع ذلك اتساع نطاق الصناعة وتركزها في المدن، وحينئذ حدثت الهجرة من الريف إلى المدينة، فقد باع الفلاحون أرضهم من كبار الملاك، وانتقلوا إلى المصانع الجديدة كعمال، وعند ذلك ظهرت طبقة العمال إلى الوجود على نحو فعال، وانتقلت مراكز الكثافة في المجتمع من الفلاحين إليها.

ومن هذا الحين بدأت هذه الطبقة تستشعر الظلم أفدح وأقسى ما يكون، فلم يكن لمطامع أصحاب المصانع حد ولا غاية، وكان العامل يعمل أكثر ساعات نهاره بأجر زهيد، فإذا ما استغنى عنه صاحب العمل، أو حلت به آفة، أو اعتراه وهن، أو بلغ سناً لا يقوى فيها على العمل، طرد من عمله.

وبدا كأن الكيان الاقتصادي القائم على هذا الاستغلال سيبقى منيعاً.

وبدا كأن واقع العمال التعس أمر لا مفر منه ولا عنه.

ولكن شيئاً من هذا لم يستمر، فقد نبهت هذه المظالم الوعي العمالي، ودفعتهم إلى تحسين مستواهم الاقتصادي عن طريق الصراع.

وقد عملوا كثيراً، وقد أخفقوا كثيراً ولكنهم وفقوا أخيراً إلى تخفيض ساعات العمل ورفع الأجور، والتعويض عند الصرف من العمل، والضمان الاجتماعي بإعانة مالية تدفع للعامل المتعطل من صندوق الدولة.

نقدم هنا ملاحظات:

الأولى: إن هذا لم يتم إلا بجهود العمال أنفسهم، فلا المجالس التشريعية ولا أصحاب العمل انتبهوا إلى حالة العمال واهتموا بتحسينها، ولم يستجب أصحاب العمل لمطالب العمال، ولم تسن التشريعات الملائمة إلا بعد صراع دام عقوداً من السنين.

الثانية: إن هذه الإعانة التي تعطى للعامل المتعطل إنما تعطى له بشكل إحسان وصدقة، لا باعتبارها حقاً له.

الثالثة: إن هذه التشريعات لا تشمل بعض الحالات، فمن يعمل ولا يكفيه عمله لا يدخل فيها، ومن يعمل ويحصل على أجر مناسب ولكن عرض له ما جعله مفتقراً إلى المزيد من المال لا يدخل فيها، وكذلك لا يدخل فيها الأيتام، من لا كافل لهم لا يستطيعون العمل لصغر السن أي لا تعتبر الدولة نفسها مسؤولة عنهم.

وإذا رجعنا إلى عهد الإمام لنقارن بينه وبين النتائج التي خرجنا بها؟ فماذا نجد؟

نلاحظ أولا: أن التشريعات الكافلة للطبقة العاملة ومطلق من لا يستطيع العمل للمرض أو لكبر السن أو لصغره ـ هذه التشريعات صدرت من فوق، من طبقة الحاكمين، ومغزى أن تكون التشريعات الحامية لطبقة العمال قد صدرت من فوق من دون أن يحدث من هذه الطبقة تحسس يلجئ إلى هذا، كبير القيمة، فهو يدل على أن الإمام كان يفكر في هذه الطبقة ويعمل لخيرها.

وثانياً: إن ما تدفعه الدولة إلى هؤلاء ليس إحساناً منها إليهم، وإنما هو حق لهم عليها، يجب أن تؤديه. وعهد الإمام صريح في هذا كما سترى.

ومغزى هذه الملاحظة عظيم، فعندما يأخذ المعوز ما يأخذه على أنه «إحسان» يشعر بالدونية، أما حين يأخذه على أنه «حق» فإنه لا يشعر بشيء من هذا.

وثالثاً: إن التشريع الذي سنه الإسلام وذكره الإمام يشمل كل حالة عجز، فمن لا يستطيعون عملا لمرض أو هرم أو صغر سن، أو يعملون ولكن أجرهم لا يكفيهم ـ هؤلاء جميعاً تكفلهم الدولة، وتعتبر نفسها مسؤولة عنهم.

وعهد الإمام صريح في أن على الحاكم أن ينشئ لهذه الطبقة دائرة خاصة ترعى شؤونها، فهو يقول:

«ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم»

وقد جرى عليه السلام على هذا فيما نقل ابن أبي الحديد إذ قال:

«وكان لأمير المؤمنين علي عليه السلام بيت سماه بيت القصص يلقي الناس فيه رقاعهم»

وإذن، فبالرغم من سبق عهد الإمام على التشريعات العمالية الحديثة بأكثر من ألف ومائتي عام نلاحظ أنه أوعى لحاجات هذه الطبقة وأرعى لشؤونها، وأشمل لطوائفها من هذه التشريعات.

نعم تمتاز هذه التشريعات بأنها أكثر تفصيلاً من عهد الإمام، وبأنها تشتمل على ملاحظات لم ترد في هذا العهد، ولكن ذلك لا يكسبها ميزة حقيقية، فالعبرة بروح التشريع وبشموله، ولا شك، بعدما عرفت، في أن عهد الإمام أشمل.

قال عليه السلام:

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى[1] والزمنى[2] فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً[3].

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات[4] صوافي[5] الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى[6] منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه[7].

ولا يشغلنك عنهم بطر[8]، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم[9]، ولا تصعر[10] خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون[11] وتحتقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه[12]، فإن هؤلاء من الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم.

وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه وتعهد أهل اليتم وذوي الرقعة في السن[13] ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه.

وذلك على الولاة ثقل «الحق كله ثقيل»، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية، فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم».

ونستطيع أن نتصور عظيم اهتمامه عليه السلام بهذه الطبقة حين نتأمل قوله «ثم الله الله...» وقوله: «فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم» يأمر واليه بأن يتواضع لهم لئلا يشعروا بالذل من جهة، وليضرب لأغنياء رعيته مثلا من نفسه في معاملته لهذه الطبقة. وقوله: «فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم». وأما قوله: «فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً» وقوله: «وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم» وقوله: «وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه» فإنها تنطوي على مضمون عظيم القيمة، فهؤلاء الذين يمنعهم الحياء وشرف النفس من إظهار فقرهم ومن نصب أنفسهم للمسألة يموتون جوعاً إذا لم يبحث عنهم الحاكم ويرعى أمورهم، ولذلك أمر الإمام بأن يتفقد هؤلاء وأمثالهم، ويوكل بهم من يتفقدهم.

ولا أظن أن حكومة من الحكومات الحديثة بلغ فيها التشريع العمالي، والتأمين الاجتماعي من النضوج والوعي للمسؤولية الاجتماعية إلى حد أن تؤلف هيئة تبحث عن ذوي الحاجة والفاقة فترفع حاجتهم بأموال الدولة، كما نرى ذلك في عهد الإمام. ولا أظن أن قلوب المشرعين وعقولهم اجتمعت على أن تخرج للدنيا تشريعاً عمالياً فأفلحت في أن تخرجه أنبض من تشريع الإمام بالشعور الإنساني العميق[14].

---

١ ـ البؤسى: جمع بائس، الذين يعانون من الفقر الشديد.

٢ ـ الزمنى: جمع زمين ـ والزمانة العاهة.

٣ ـ القانع: السائل ـ المعتر: المتعرض لأخذ العطاء دون سؤال وطلب.

٤ ـ الغلات: المحاصيل الزراعية.

٥ ـ الصوافي: الأرض المفتوحة عنوة «بالقوة»، فإنها ملك لجميع المسلمين، ويعود ريعها إلى بيت مال المسلمين.

٦ ـ الأقصى: الأبعد في القرابة أو في المكان. والأدنى: الأقرب، أي انه لا فرق في لزوم الرعاية لهؤلاء بين القريب والبعيد.

٧ ـ وجبت عليك رعاية حقه.

٨ ـ البطر: الطغيان بالنعمة.

٩ ـ لا تشخص همك: لا تصرف عنايتك واهتمامك عن هؤلاء الفقراء.

١٠ ـ لا تتكبر عليهم.

١١ ـ تقتحمه العيون: تحتقره، فلا تنظر اليه.

١٢ ـ ليكن عملك بالنسبة إلى هؤلاء الفقراء عذراً لك عند الله تعالى.

١٣ ـ ذوي الرقة في السن: الذين بلغوا مرحلة الشيخوخة.

١٤ ـ دراسات في نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين، ص١٢٩ ـ ١٣٦.

المثقف والمجتمع

تتحدد علاقة المثقف بمجتمعه بعدد من العوامل، يرجع أهمها إلى المفهوم العام للمثقف، ويرجع بعضها الآخر لخصوصية المثقف والمجتمع عندنا، ففي الإطار العام تبرز إشكالية المسافة بين المثقف ومجتمعه؛ فهل المجتمع حالة طارئة على اهتمام المثقف؟ أم هو مسكون به شاء ذلك أم أبى؟ يصف إدوارد سعيد المسافة بأنها قريبة، فلا مجتمع دون مثقفيه، ولا يتصور وجود إنسان دون مجتمع يسيطر عليه، فاللغة التي يتحدث بها، والقومية التي ينتمي إليها كلها تشده إلى مجتمع معين له ظروفه وشاغله ووضعيته التاريخية ليصبح السؤال الأهم: إلى أي مدى يكون المثقفون خدام هذه الواقعيات وإلى أي مدى يكونون أعداءها، فالمثقف لا يمارس عمله كمهنة متوارثة روتينية يستغنى عنها بتطور الحياة وتطور الأذواق، بل هو الملجأ الذي يهرع إليه الناس وقت هزائمهم لمعرفة ما الذي يجري، وتحميله مسؤولية اجتراح ما ينبغي أن يكون.

درجة المسافة بين المثقف ومجتمعه تخضع لتحليل أعمق عندما يتم النظر إلى الطبيعتين المختلفتين لكليهما، فالمثقف له خصوصية في التفكير ودرجة من الوعي تتجاوز وتتصادم في كثير من الأحيان مع الثقافة السائدة من حوله، والمجتمع أقام مؤسساته كلها على التثبيت والتنميط. وهنا تبرز مسألة الولاء محدقة دائماً بالمثقف وتتحداه دون رحمة، وهذا ما جعل نمطين من المثقفين يبدوان بوضوح ضمن تماسهم مع مجتمعاتهم، فهناك الموالون دون تحفظ، وهناك الرافضون دون استثناء، وما بينهما كم كبير من التوصيفات والتقسيمات، ومساحة واسعة من التجاذب والتنافر الشديدين، حتى ليبدو المثقفون عموماً على طرفي نقيض: فإما أنهم ضد المعايير السائدة، وإما أنهم، بطريقة ما توفيقية في أساسها، موجودون لتوفير النظام والاستمرارية في الحياة العامة.

ان ما يطرح البعض عن المثقف، لا يخلو في الواقع من انعكاس الخصوصية الغربية عليه، فالمجتمع هناك لا يتكون من مسميات وهياكل تنظيمية فارغة من محتواها، بل تعمل جميعها وفق بنية التنافس الذي ربما يصل إلى درجة التغالب، فالمؤسسات الاقتصادية يهمها أن تبقي الجميع ضمن دائرتها، والتي تتأسس على معادلة العرض والطلب، وهذا يؤدي بالمثقف إلى الاحترافية، فينضوي تحت مجلة أو مؤسسة استشارية، وفي أحسن حالاته يصبح أستاذاً جامعياً، بمعنى أنه يتاح له في حدود ضيقة جداً التعاطي الحر مع جمهوره؛ والتضييق جاء من واقع الجامعات الغربية اليوم التي في الغالب تتبنى سياسات محددة، ينبغي للأستاذ الجامعي تعزيزها وتكريسها، ويصبح المثقف الحقيقي حسب تعبير سارتر، هو الذي يواجه كل ذلك رافضاً أن يقولب على هذه الشاكلة أو تلك.

أما في الخصوصية العربية فالأمر أدهى وأمر، فالمثقف العربي ـ بالمفهوم الفرنسي للكلمة، أي الفرد الذي له استقلالية مفهومية وينتمي إلى جماعة أو نخبة تشكل سلطة مؤثرة في

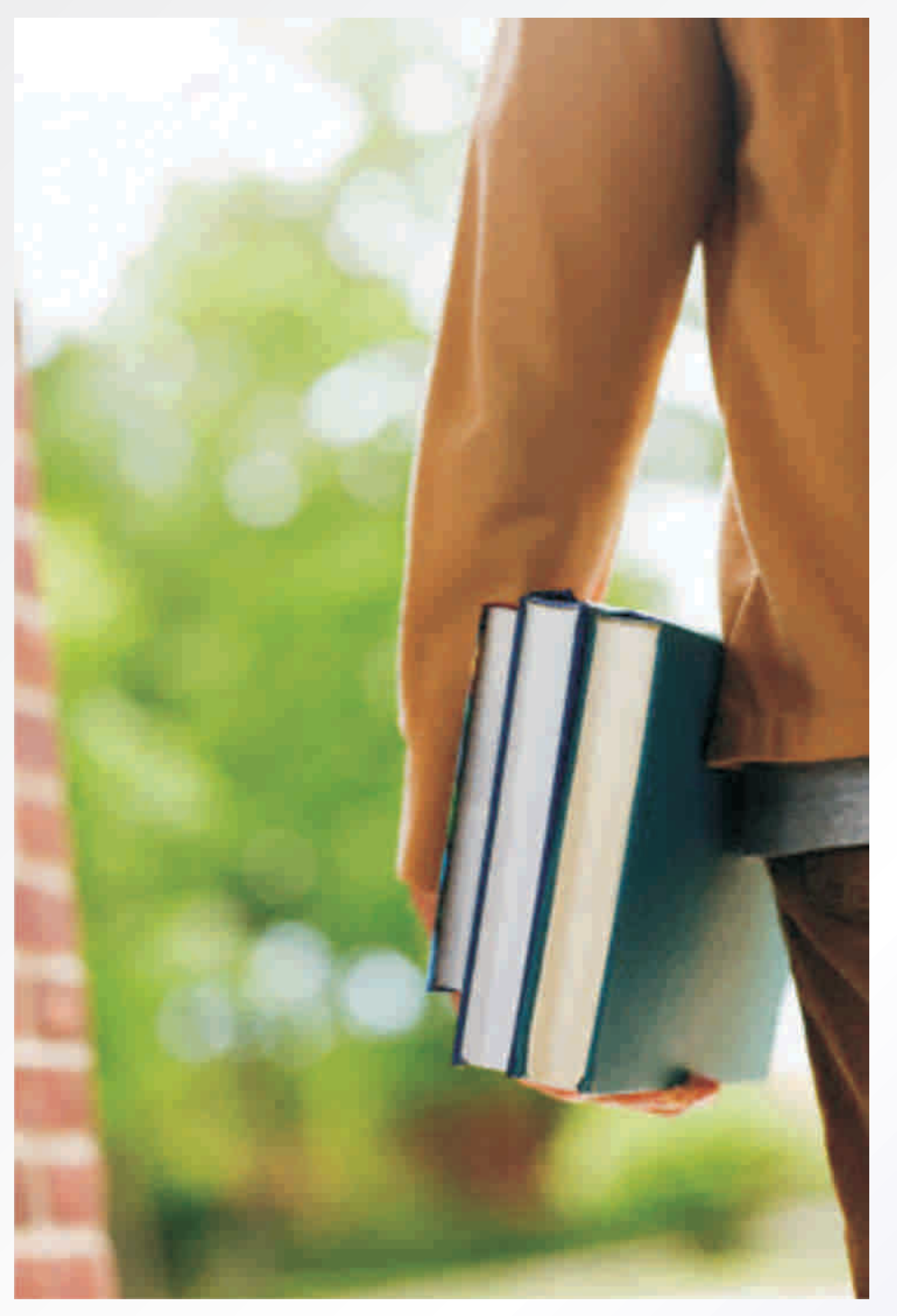
المجتمع ـ يكون مأزوماً في أمرين؛ الأول في افتقاد المجتمعات العربية للمجتمعات المدنية؛ وهي التي تعطي لفرديته ونخبويته معناهما، والآخر: أن المثقف نفسه غالباً ما يستعير من الذهنية السائدة طرائقه في إبداء أطروحاته وآرائه، ولهذا تظهر سلبيات عدة للمثقف عند قياس علاقته بالمجتمع، إذ يرى بعض الدارسين أن هنالك حالة مجاملة مفرطة من قبل المثقف حيث يصبح الشعب العربي من أكثر الشعوب حصولاً على الألقاب من قبل مثقفيه. فالجماهير العربية أصلية وثورية، وتحمل في وجدانها الوحدة العربية والمغربية والخليجية، وتتميز بين الصديقين والعدو... إلى غير ذلك ما يندر أن يجتمع في شعب واحد وهذا سببه ـ كما يقول سماح إدريس ـ رغبة المثقف، الذي لا يعرف الجماهير إلا معرفة سطحية في التماشي مع هذه الجماهير تماشياً يدفعه في الكثير من الأحيان إلى تصوير ما يقولون وما يفعلون وما يشعرون به تصويراً في غاية الرومانسية.

ما طرح سابقاً يعكس جانباً أولياً في علاقة المثقف بمجتمعه، إذ نجد فضلاً على ذلك أن المثقف يبدو في تجل آخر يتقاطع مع مجتمعه؛ فهو غارق في شؤونه الكتابية والصحفية، فقلما يظهر في البرامج الاجتماعية والثقافية المباشرة مع الناس، إما لأنه يريد ـ وفقا لشرط ماهايم ـ التحرر من الروابط الاجتماعية، أو لأنه يشعر بعدم قيمة تواصله مع مجتمع لا يشعر بهمومه ولا يقدر قيمته، ويتعامل معه كما يتعامل مع عامة الناس. والنقطة الأخيرة ربما يعززها الواقع أكثر، وتكاد تكون قدر المثقف الأصعب، والشجب الذي يعلق عليه عجزه في إحداث التغيير، وهذا طبيعي كما يرى بعضهم لأن المجتمع لا يساعده في التزود بوسائل تمكنه من قيادة التغيير والتجديد فأغلب المثقفين يعيشون ظروفاً اجتماعية ـ اقتصادية ـ لا تمكنهم من الاستقلال اقتصادياً، وتوفير احتياجاتهم الأساسية بطريقة كريمة ومعقولة الجهد.

في مثل هذه العلاقة الشائنة بين المثقف وجماهيره، يتحول المثقف إلى بهلوان، إذ ينجح في خداع الناس وإيهامهم بأهمية دوره، فيما يتعلق بقول الحقيقة أو الحرية المدنية أو حقوق الأمة أو مصلحة المجتمع أو قضية الوطن، وهو إن لم يتخذ الجماهير سلماً إلى القوة والنفوذ، فهو الذي يقوم بالتوسط بين الدولة والمجتمع عندما يعقلن لها سياساتها وممارساتها وأمثلة ذلك كثيرة جداً هذه الأيام[1].

---

(١) تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث ـ د. محمود محمد املودة، ص٤٨ ـ ٥١.



الطريقة المثلى لتربية النفس ومجاهدتها

بيان قوى النفس وضرورة إخضاعها لأحكام الشرع

إن ساحة معركة النفس وجهادها يقع في نفس هذا الجسد، وجنودها هي قواها الظاهرية التي هي: «الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل».

وتكون جميع هذه القوى تحت تصرف النفس في مقام الوهم، فالوهم سلطان جميع القوى الظاهرية والباطنية للنفس، فإذا تحكم الوهم على تلك القوى سواء بذاته ـ مستقلاً ـ أو بتدخل الشيطان، جعل تلك القوى ـ جنوداً للشيطان، فتصبح مملكة النفس تحت سلطان الشيطان، وتنهزم عندها جنود الرحمن والعقل، وتتوارى وتخرج فتصبح هذه المملكة خاصة بالشيطان.

وأما إذا خضع الوهم لحكم العقل والشرع، وكانت حركاته وسكناته مقيدة بنظام العقل والشرع، فقد أصبحت هذه المملكة مملكة روحانية وعقلانية، ولم يجد الشيطان وجنوده محط قدم لهم فيها.

إذاً، فالمقام الأول من مقامات جهاد النفس هو عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهرية، وجعلها مؤتمرة بأمر الخالق سبحانه وتعالى.

التفكر هو أول شروط مجاهدة النفس

والتفكر في هذا المقام هو أن يفكر الإنسان بعض الوقت في أن مولاه الذي خلقه في هذه الدنيا، ووفّر له كل أسباب الدعة والراحة، ووهبه جسماً سليماً وقوى سالمة ذات منافع تحيِّر ألباب الجميع، والذي رعاه وهيَّأ له كل هذه السعة وأسباب النعمة والرحمة من جهة وأرسل جميع هؤلاء الأنبياء، وأنزل كلّ هذه الكتب «الرسالات»، وأرشد ودعا إلى الهدى من جهة أخرى... هذا المولى ماذا يستحق منا؟ وما هو واجبنا تجاه مالك الملك هذا؟!. هل أن وجود جميع هذه النعم، هو فقط لأجل هذه الحياة الحيوانية وإشباع الشهوات التي نشترك فيها مع الحيوانات أو أن هناك هدفاً وغاية أخرى؟.

إن الإنسان إذا فكَّر لحظة واحدة، عرف أن الهدف من هذه النعم هو شيء آخر، وأن الغاية من هذا الخلق أسمى وأعظم، وأن هذه الحياة الحيوانية ليست هي الغاية بحدَّ ذاتها، وأن على الإنسان العاقل أن يفكر بنفسه، وأن يترحم على حاله ونفسه المسكينة، ويخاطبها قائلاً: أيتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات، ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، ابحثي عن الرحمة، وأستحي من مالك الملك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساس المؤدي إلى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبيعي تلك السعادة بشهوات أيام قليلة فانية، التي لا تتحصل حتى مع الصعوبات المضنية الشاقة. فكّري قليلا في أحوال أهل الدنيا، من السابقين واللاحقين وتأملي متاعبهم وآلامهم كم هي أكبر وأكثر بالنسبة إلى هنائهم، في نفس الوقت الذي لا يوجد فيه هناء وراحة لأي شخص. إن الذي يكون في صورة الإنسان ولكنه من جنود الشيطان وأعوانه، والذي يدعوك إلى الشهوات، ويقول: يجب ضمان الحياة المادية، تأمل قليلاً في حال نفس ذاك الإنسان واستنطقه، وأنظر أهو راضٍ عن ظروفه، أم أنه مبتلٍ ويريد أن يبلي مسكيناً آخر؟!.

وعلى أي حال، فادع ربك بعجز وتضرع أن يعينك على أداء واجباتك التي ينبغي أن تكون أساس العلاقة فيما بينك وبينه تعالى، والمأمول أن يهديك هذا التفكير المنبعث عن نية مجاهدة الشيطان والنفس الأمارة إلى طريق آخر ويوفقك للرقي إلى منزلة أخرى من منازل المجاهدة.

العزم هو ثاني شروط مجاهدة النفس

وهناك مقام آخر يواجه الإنسان المجاهد بعد التفكر، وهو مقام العزم، وهو كما يصفه احد العارفين بقوله: «إنَّ العزم هو جوهر الإنسانية، ومعيار ميزة الإنسان، وأن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه».

والعزم الذي يتناسب وهذا المقام، هو أن يوطن الإنسان نفسه على ترك المعاصي وأداء الواجبات، ويتخذ قراراً بذلك، ويتدارك ما فاته في أيام حياته، وبالتالي يسعى إلى أن يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعياً، والإنسان الشرعي هو الذي ينظم سلوكه وفق ما يتطلبه الشرع، يكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم، يقتدي بالنبي العظيم صلّى الله عليه وآله وسلم ويتأسى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل وما يترك. وهذا أمر ممكن، لأن جعل الظاهر مثل هذا القائد أمر مقدور لأيّ فرد من عباد الله.

وأعلم... أن طي أي طريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلاّ بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدب الإنسان بآداب الشريعة الحقة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلى في قلبه نور المعرفة وتتكشف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه لا بد من الاستمرار في التأدب بالآداب الشرعية الظاهرية أيضاً.

في السعي للحصول على العزم

أيها العزيز... إجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلت من هذه الدنيا دون أن يتحقق فيك العزم (على ترك المحرمات) فأنت إنسان صوري، بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة، وأن التجرؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجياً، العزم ويختطف منه هذا الجوهر الشريف. يقول احد العارفين: «إنّ أكثر ما يسبب على فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء».

إذاً، تجنب يا أخي المعاصي، وأعزم على الهجرة إلى الحق تعالى، وأجعل ظاهرك ظاهراً إنسانياً، وأدخل في سلك أرباب الشرائع، وأطلب من الله تعالى في الخلوات العون على بلوغ هذا الهدف وأستشفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام حتى يوفقك الله على ذلك، ويعصمك من المزالق التي تعترضك، لأن هناك مزالق كثيرة تعترض الإنسان أيام حياته، ومن الممكن أنه في لحظة واحدة يسقط في مزلق مهلك، يعجز من السعي لإنقاذ نفسه، بل قد لا يهتم بإنقاذ نفسه، بل ربما لا تشمله حتى شفاعة الشافعين. نعوذ بالله منها.

المشارطة والمراقبة والمحاسبة أسهل طريق لتربية النفس وتزكيتها

ومن الأمور الضرورية للمجاهد: «المشارطة والمراقبة والمحاسبة». فالمشارط هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أي عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قرارا بذلك ويعزم عليه. وواضح أن ترك ما يخالف أوامر الله، ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان بكل سهولة أن يلتزم به. فاعزم وشارط وجرب، وأنظر كيف أن الأمر سهل يسير.

ومن الممكن أن يصور لك إبليس اللعين وجنده أن الأمر صعب وعسير. فأدرك أن هذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فالعنه قلباً وواقعاً، وأخرج الأوهام الباطلة من قلبك، وجرب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدق هذا الأمر.

وبعد هذه المشارطة عليك أن تنتقل إلى «المراقبة»، وكيفيتها هي أن تنتبه طوال مدة المشارطة إلى عملك وفقها، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شارطت. وإذا حصل ـ لا سمح الله ـ حديث لنفسك بأن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم أن ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرهم، واخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: «إني اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم ـ وهو يوم واحد ـ بأي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو ولي نعمتي طول عمري، فقد أنعم وتلطّف عليَّ بالصحة والسلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أني بقيت في خدمته إلى الأبد لما أديت حق واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرط بسيط كهذا»، وآمل ـ إن شاء الله ـ أن ينصرف الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا تتعارض مع أي من أعمالك كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل ريثما يحين وقت المحاسبة.

وأما «المحاسبة» فهي أن تحاسب نفسك لترى هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية؟ إذا كنت قد وفيت حقاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحول إلى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلا ويسيراً للغاية، وستحسُّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات، في حين أن هذا العالم ليس هو عالم الجزاء لكن الجزاء الإلهي يؤثر ويجعلك مستمتعاً وملتذاً ـ بطاعتك لله وابتعادك عن المعصية ـ.

وأعلم أن الله لم يكلفك ما يشق عليك به، ولم يفرض عليك ما لا طاقة لك به ولا قدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصورون لك الأمر وكأنه شاق وصعب. وإذا حدث ـ لا سمح الله ـ في أثناء المحاسبة تهاون وفتور تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله وأطلب العفو منه، واعزم على الوفاء بكل شجاعة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانية.

وأكرر التذكير بأنه في جميع الأحوال لا تعلق على نفسك الآمال لأنه لا ينهض أحد بعمل من غير معونة الله تعالى. فاطلب من الحق تعالى نفسه بتضرع وخشوع، كي يعينك في هذه المجاهدة لعلك تنتصر. إنه ولي التوفيق[1].

(١) الأربعون حديثا للسيد الخميني قدس سره الشريف ص٤ـ١٠، مع تصرف بسيط.



الآثار التربوية للبلايا والمصائب والأمراض على رقي الإنسان وتكامله

إن لهذه الأمور آثارا تربوية مهمة في حياة البشر المادية، وفي إزاحة الغرور والغفلة عن الضمائر والعقول، ولأجل هذه الفوائد صح إيجادها، سواء قلنا بأن الشر موجود بالذات، كما عليه المعترض، أو موجود بالعرض، كما حققناه في العدد السابق.

وإليك فيما يلي توضيح هذه الآثار واحدة بعد الأخرى:

١. المصائب وسيلة لتفجير الطاقات

إن البلايا والمصائب خير وسيلة لتفجير الطاقات وتقدم العلوم ورقي الحياة البشرية، فها هم علماء الحضارة يصرحون بأن أكثر الحضارات لم تزدهر إلا في أجواء الحروب والصراعات والمنافسات حيث كان الناس يلجأون فيها إلى استحداث وسائل الدفاع في مواجهة الأعداء المهاجمين، أو إصلاح ما خربته الحروب من دمار وخراب. ففي مثل هذه الظروف تتحرك القابليات بجبران ما فات، وتتميم ما نقص، وتهيئة ما يلزم. وفي المثل السائر: «الحاجة أم الاختراع».

وبعبارة ثانية: إذا لم يتعرض الإنسان للمشاكل في حياته فإن طاقاته ستبقى جامدة هامدة لا تنمو ولا تتفتح، بل نمو تلك المواهب وخروج الطاقات من القوة إلى الفعلية، رهن وقوع الإنسان في مهب المصائب والشدائد. نعم، لا ندعي بأن جميع النتائج الكبيرة توجد في الكوارث وإنما ندعي أن عروضها يهيّئ أرضية صالحة للإنسان للخروج عن الكسل. ولأجل ذلك، نرى أن الوالدين اللذين يعمدان إلى إبعاد أولادهما عن الصعوبات والشدائد لا يدفعان إلى المجتمع إلا أطفالا يهتزون لكل ريح كالنبتة الغضة أمام كل نسيم. وأما اللذان ينشئان أولادهما في أجواء الحياة المحفوفة بالمشاكل والمصائب فيدفعان إلى المجتمع أولادا أرسخ من الجبال في مهب العواصف. قال الإمام علي بن أبي طالب «ألا إن الشجرة البرية أصلب عودا، والروائع الخضرة أرق جلودا، والنباتات البدوية أقوى وقودا وأبطأ خمودا».

وإلى هذه الحقيقة يشير قوله سبحانه: (فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا). وقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا). وقوله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب) أي تعرض للنصب والتعب بالإقدام على العمل والسعي والجهد بعد ما فرغت من العبادة، وكأن النصر والمحنة حليفان لا ينفصلان وأخوان لا يفترقان.



٢. المصائب والبلايا جرس إنذار

إن التمتع بـالمواهب المادية والاسـتغراق في اللذائذ والشهوات يوجب غفلة كبرى عن القيم الأخلاقـية، وكلما ازداد الإنسـان توغلا في اللذائذ والنعم، ازداد ابـتعادا عن الجوانب المعنوية. وهذه حقيقـة يلمسـها كل إنسـان في حياته وحياة غيره، ويقف عليها في صفحـات التاريخ. فإذن لابـد لانتباه الإنسـان من هذه الغفلة من هزة وجرس إنذار يذكره ويوقـظ فطرته وينبهه من غفلته. وليس هناك ما هو أنفع في هذا المجال من بعض الحوادث التي تقطع نظام الحياة الناعمة بشـيء من المزعجات حتى يدرك عجزه ويتخلى عن غروره ويخفف من طغيانه. ونحن نجد في الكتاب العزيز التصريح بـصلة الطغيان بإحساس الغنى، إذ يقـول عز وجل: (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ). ولأجـل هذا يعلل القـرآن الكريم بـعض النوازل والمصائب بأنها تنزل لأجل الذكرى والرجوع إلى الله، يقـول سبحـانه: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ).

ويقـول أيضا: (وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ). هكذا تكون البـلايا والمصائب سببا ليقظة الإنسان وتذكرة له، فهي بمثابـة صفع الطبـيب وجه المريض المبـنج لإيقـاظه، الذي لولا صفعته لانقطعت حياة المريض. فقد خرجنا بهذه النتيجة وهي أن التكامل الأخلاقـي رهن المحن والمصائب، كما أن التفتح العقـلي رهن البـلايا والنوازل. والإنسـان الواعي يتخذها وسـيلة للتخلي عن الغرور، كما يتخذها سلما للرقـي إلى مدارج الكمال العلمي، وقد لا يستفيد منها شيئا فيعدها مصيبة وكارثة في الحياة.

٣. البلايا سبب للعودة إلى الحق

إن للكون هدفا، كما أن لخلق الإنسان هدفا كذلك، وليس الهدف من خلقـة الإنسان إلا أن يتكامل ويصل إلى ما يمكن الوصول إليه. وليس الهدف من بعث الأنبياء وإنزال الكتب إلا تحقيق هذه الغاية السـامية. ولما كانت المعاصي والذنوب من أكبر الأسبـاب التي توجب بـعد الإنسـان عن الهدف الذي خلق من أجله، وتعرقل مسيرة تكامله، كانت البلايا والمصائب خير وسيلة لإيقاف الإنسان العاصي على نتائج عتوه وعصيانه حتى يعود إلى الحق ويرجع إلى الطريق الوسـطى. وإلى هذه النكتة يشـير قـوله سبحـانه: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ويقـول سبحانه في آية أخرى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ).



٤. البلايا سبب لمعرفة النعم وتقديرها

إن بقـاء الحياة على نمط واحـد يوجب أن لا تتجلى الحياة لذيذة محبوبـة، وهذا بخلاف ما إذا تراوحـت بـين المر والحلو والجميل والقبيح، فلا يمكن معرفة السـلامة إلا بالوقـوف على العيب. ولا الصحـة إلا بـلمس المرض، ولا العافية إلا عند نزول البـلاء. ولا تدرك لذة الحلاوة إلا بـتذوق المرارة. فجمال الحياة وقـيمة الطبـيعة ينشـآن من التنوع والانتقـال من حال إلى حـال ومن وضـع إلى آخـر. ولأجـل ذلك نلمس أن خالق الطبـيعة جعل الوديان إلى جانب الجبـال، والأشـواك جانب الورود، والثمار المرة جنب الحلوة، والماء الأجاج جنب العذب الفرات، إلى غير ذلك من مظاهر التضاد والتبـاين التي تضفي على الطبـيعة بهاء وجمالا، وكمالا وجلالا. هذه هي الآثار التربـوية للمصائب والبـلايا، وتكفي في تسـويغ نزولها، وتبرير تحقيقـها في الحياة البشرية.

ملاحـظة هامة: إياك أن تنسـب أخطاءك وأخطاء الطواغيت إلى الله سبحانه

إن هناك من المحن ما ينسبه الإنسان الجاهل إلى خالق الكون، والحال أنها من كسب نفسه ونتيجة منهجه. بـل الأنظمة الطاغوتية هي التي سببـت تلك المحن وأوجدت تلك الكوارث، ولو كانت هناك أنظمة قـائمة على قـيم إلهية لما تعرض البشـر لتلك المحن. فالتقسـيم الظالم للثروات هو الذي صار سببـا لتجمع الثروة عند ثلة قـليلة، وانحسـارها عن جماعات كثيرة، كما صار سببا لتمتع الطائفة الأولى بـكل وسـائل الوقـاية والحماية من الأمراض والحوادث وحرمان الطائفة الثانية منها. فهذه البلايا المصطنعة خارجة عن إطار البحـث، فلا تكون موقـظة للفكر ولا مزكية للنفوس، بـل تهيئ أرضية صالحة للانتفاضات والثورات. إلى هنا خرجنا بهذه النتيجة وهي أن الظواهر غير المتوازنة بحسـب النظرة السطحـية متوازنة بالقـياس إلى مجمل النظام ولها آثار اجتماعية وتربـوية ولا مناص في الحياة البشـرية منها فلا تعد مناقـضة للنظم السـائد ولا لحكمة الخالق ولا لعدله وقسـطه سبحانه وتعالى.

أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام

اسمه وإسلامه

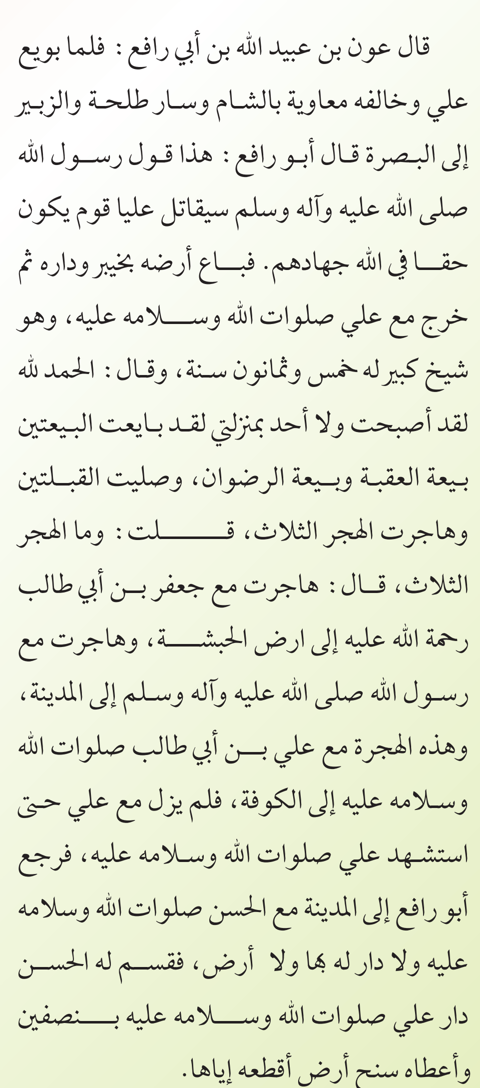
اختلف في اسمه اختلافا شديدا، وعلى الأشهر ان اسمه يدور ما بين (إبراهيم) أو (أسلم) وقد غلبت كنية (أبي رافع) على اسمه حتى صار لا يعرف إلا بها. كان عبدا للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام العباس اعتقه وأسلم أبو رافع قديما بمكة، وهاجر إلى المدينة.

وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالاقتداء بأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

عن أبي رافع قال: (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم أو يوحى إليه، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون إلي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ» ثم قال: الحمد لله الذي أكمل لعلي منيته وهنيئا لعلي بتفضيل الله إياه.

ثم التفت فرآني إلى جانبه فقال: ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع ؟ فأخبرته خبر الحية فقال: قم إليها فاقتلها، فقتلتها. ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال: يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون عليا وهو على الحق وهم على الباطل، يكون حقا في الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فبقلبه، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء، فقلت ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم. فقال: اللهم إن أدركهم فقوه وأعنه.

ثم خرج إلى الناس فقال: يا أيها الناس، من أحب أن ينظر إلى أميني على نفسي و أهلي فهذا أبو رافع أميني على نفسي.



قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع: فلما بويع علي وخالفه معاوية بالشام وسار طلحة والزبير إلى البصرة قال أبو رافع: هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيقاتل عليا قوم يكون حقا في الله جهادهم. فباع أرضه بخيبر وداره ثم خرج مع علي صلوات الله وسلامه عليه، وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة، وقال: الحمد لله لقد أصبحت ولا أحد بمنزلتي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وصليت القبلتين وهاجرت الهجر الثلاث، قلت: وما الهجر الثلاث، قال: هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليه إلى ارض الحبشة، وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وهذه الهجرة مع علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه إلى الكوفة، فلم يزل مع علي حتى استشهد علي صلوات الله وسلامه عليه، فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن صلوات الله وسلامه عليه ولا دار له بها ولا أرض، فقسم له الحسن دار علي صلوات الله وسلامه عليه بنصفين وأعطاه سنح أرض أقطعه إياها.

مدحه والثناء عليه

١: قال الشيخ النجاشي رضوان الله تعالى عليه: (وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشاهده ولزم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من بعده، وكان من خيار الشيعة، و شهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة. وابناه عبيد الله وعلي كاتبا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه...ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا).

٢: وقال الحر العاملي رضوان الله تعالى عليه: (أبو رافع القبطي، الشيعي، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، دون كتاب السنن والأحكام والقضايا).



٣: وقال ابو داود: (إبراهيم أبو رافع عتيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب أمير المؤمنين بعده، ثقة).

٤: وقد ذكره ابن حبان في كتابه الثقات بقوله: (أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم اسمه أسلم كان قبطيا عداده في أهل المدينة شهد مع علي الجمل وصفين وقد قيل إن اسمه إبراهيم ويقال يسار وبعضهم قال هرمز والصحيح أسلم روى عنه ولده ومات في خلافة علي بن أبي طالب ويقال إنه بشر النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بإسلام العباس بن عبد المطلب فأعتقه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم).

٥: وكذلك أورده ابن حبان في كتابه (مشاهير علماء الأمصار) قائلا: (أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم اسمه أسلم مات في خلافة علي بن أبي طالب).

٦: وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): (شهد غزوة أحد، والخندق. وكان ذا علم وفضل. توفي في خلافة علي. وقيل: توفي بالكوفة سنة أربعين. رضي الله عنه. وقيل: إنه أوصى إلى علي، فكان علي يزكي أموال بني أبي رافع وهم أيتام. قال بكير بن الأشج: أخبرت أنه كان قبطيا.

٨: نقلت عنه كتب السنة والشيعة اما الشيعة فرواياتهم عنه كثيرة، وأما السنة فقد اخرج له كل من (احمد بن حنبل ـ البخاري ـ مسلم ـ أبو داود ـ الترمذي ـ النسائي ـ ابن ماجه) وغيرهم.

العلامة الحلي والإعلان الرسمي عن المذهب الجعفري



ناظر رحمه الله علماء المذاهب الأربعة عند السلطان «الشاه خدابنده» وذلك أن الشاه غضب يوماً على زوجته، فقال لها: أنت طالق ثلاثاً[١]، ثم ندم وجمع العلماء.

فقالوا: لابد من المحلل.

فقال: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أو ليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا.

فقال أحد وزرائه: إن عالماً بالحلة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث كتاباً إلى العلامة وأحضره.

فلما بعث إليه، قال بعض علماء العامة: إن له مذهباً باطلاً، ولا عقل للروافض، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل.

قال الملك: حتى يحضر، فلما دخل العلامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك.

فقالوا للملك: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول؟

قال الملك: اسألوا عنه في كل ما فعل.

فقالوا له: لم ما سجدت للملك وتركت الآداب؟

فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ملكاً، وكان يسلم عليه، وقال الله تعالى:

«فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً»[٢].

ولا خلاف بيننا وبينكم أنه لا يجوز السجود لغير الله.

قالوا له: لم جلست عند الملك؟

قال: لم يكن مكان غيره.

وكلما كان يقوله العلامة كان المترجم يترجم للملك أقواله.

قالوا له: لأي شيء أخذت نعلك معك، وهذا مما لا يليق بعاقل، بل إنسان؟

قال: خفت أن يسرقه الحنفي كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فصاح الحنفي: حاشا، وكلا، ومتى كان أبو حنيفة في زمان رسول الله، بل كان تولده بعد المائة من وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال رحمه الله: نسيت فلعله كان السارق الشافعي.

فصاح الشافعي كذلك، وقال: تولد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة، وكان نشوؤه في المائتين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال رحمه الله: لعله كان مالك. فصاح المالكي كالأولين.

فقال: لعله كان أحمد بن حنبل. ففعل الحنبلي كذلك.

فأقبل العلامة إلى الملك وقال: أيها الملك، علمت أن رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الصحابة، فهذا أحد بدعهم أنهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوز أن يجتهدوا بخلاف ما أفتى واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله والصحابة؟

فقال الجميع: لا.

فقال العلامة رحمه الله: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين عليه السلام، نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخيه وابن عمه ووصيه.

وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل؛ لأنه لم يتحقق شروطه التي منها العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما؟

قال: لا.

ثم شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً، فتشيع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الاثني عشر عليه السلام، ويضربوا السكك على أسمائهم، وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم.

قال الإمام المجلسي رحمه الله: والذي في أصبهان موجود الآن في الجامع القديم الذي كتب في زمانه في ثلاثة مواضع منه، وكذا في معبد «بيرمكران لنجان»، ومعبد الشيخ نور الدين النطنزي من العرفاء، وكذا على منارة دار السيادة الذي تممها هذا السلطان من بعدما أحدثه أخوه غازان. انتهى.

والحاصل: بعد ما صدرت منه هذه القصة رفع الهم والغم عن الملك، فكان لا يفارقه وقدمه على جميع العلماء الذين كانوا في عصره، مثل القاضي ناصر الدين البيضاوي، وعضد الدين الأيجي، ومحمد بن محمود الآملي، والشيخ نظام الدين عبد الملك المراغي من أفاضل الشافعية، والمولى بدر الدين الشوشتري، والمولى عز الدين الأيجي، والسيد برهان الدين العبيري، وغيرهم، ورفعت منزلته عند السلطان بحيث كان معه في السفر والحضر.

ونقل أن الملك أمر له ولطلابه بترتيب مدرسة سيارة ذات حجرات من الخيام لتحمل مع الموكب الميمون أينما يسير. وحكي أنه وجد في أواخر بعض الكتب وقوع الفراغ منه في المدرسة السيارة السلطانية في كرمانشاهان[٣][٤].

---

١. لا يقع هذا الطلاق على مذاهب الإمامية، وأما على المذاهب الأربعة فعندهم الطلاق صحيح، ويقولون بحرمتها حتى تنكح زوجاً غيره.

٢. سورة النور: الآية، ٦١.

٣. ذرايع البيان في عوارض اللسان: ٢: ١١٥-١٢١.

٤. عبر من التاريخ - الشيخ باقر المحسني، ج١ ص١٩-٢٢.

أسباب الاهتمام الزائد عن الحد بالطفل الأول

إن ما يدفع الأم للاهتمام الزائد عن الحد بطفلها الأول، القلق لنقص تجربتها. فلو أصيب بارتفاع طفيف في درجة الحرارة، أو نقص وزنه، أو وقع على الأرض، كل ذلك يسبب لها خوفا عظيماً .

وهذا القلق ينتقل إلى نفسية الطفل من خلال ملامح ونبرات صوت الأم، ويزداد قلق الأم على طفلها في عامه الثاني عندما يرغب في الإعلان عن نفسه عن طريق العناد والتحدي والغضب، ولكن لنكن على ثقة تامة أن المشاجرات البسيطة التي تحصل بين الأم وطفلها بخصوص الطعام أو اختيار الملابس أو أي عمل آخر، تزيد من ترابط الطفل بأمه.

ولكن لماذا نقبل بعض الأخطاء الصغيرة من أطفالنا الآن، ولم نكن نقبلها من طفلنا الأول؟!.

والسبب يعود إلى نقص في تجربة الأمومة ومن خلال التجربة الأولى تعلمت الأم السيطرة على أمور تربية الطفل، واكتسبت قدراً من الثقة بالنفس يتيح لها التعامل مع الطفل الثاني بمنتهى الهدوء والاتزان، وبالتالي تستطيع الأم أن تؤثر في طفلها الثاني أو الثالث بطريقة حاسمة، أو على الأقل تبتعد عن المشاكل التي كانت تغرق فيها مع طفلها الأول. ففي مسألة تأديب الطفل تبتعد عن التدخل في أدق التفاصيل، لذلك تقل نسبة المشاكل مع الطفل الثاني. وبذلك يصبح الطفل الثاني أكثر قدرة على الاستقلال والفهم لمشاكله، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

وعلينا ألا ننسى أن الفرحة كانت تغمر الأم أثناء تربية طفلها الأول، وأن الخوف عليه كان شديداً، وأنها عندما كانت ترى ابتسامته الأولى كانت السعادة تتفجر في داخلها.. فضحكات الطفل حتى تزيد الأم عطشاً، وتجعلها تنتظر المزيد منها وتحاول إسعاده بشتى الطرق حتى تحصل على ابتسامته، وتراقب بشغف حركات يديه، وتغمرها الفرحة عندما يمشي. وتزداد فرحتها عندما يلفظ كلماته الأولى، وترتسم أسارير الفرحة على وجهها عندما يحمل سماعة الهاتف ويتحدث مع الآخرين... وكم من مرة اشترت له لعبة لم تكن تساوي...؟!

قواعد لتربية الطفل الأول

ليست هناك قواعد سحرية يمكننا أن نربي بها الطفل الأول بسهولة وانطلاق، كما يحدث في حالة تربية الطفل الثاني أو الثالث، لأن القلق النفسي هو شعور طبيعي يوجد في الإنسان عندما يبدأ في تحمل أية مسؤولية جديدة لا يعرف عنها شيئاً. ولم يكتشف حتى الآن وسيلة تمنع القلق، إن القلق البسيط بحد ذاته مفيد لأنه يفتح عقل الإنسان وإحساسه ليطلب المزيد من المعرفة. إن الحل البسيط لمشكلة القلق التي تصاحب ميلاد الطفل الأول، هو أن نستفيد من خبرات الأجيال السابقة، كما إننا عندما نضع طفلنا في «روضة» فيها عدد من الأطفال، أو نجعله يقضي معظم الوقت مع الأطفال في حديقة عامة أو نادٍ، فإن ذلك يجعله طفلاً أكثر سعادة. ويخفف من اعتماده الزائد على أمه.

إن الطفل خلال الأشهر الثلاثة الأولى من حياته لا يعرف ولا يكاد يشعر إذا كانت أمه مشدودة الأعصاب أم لا. لأنه في هذه المرحلة يكون غارقاً في أحاسيسه الخاصة. الإحساس بالجوع أو النوم أو المغص. لكن بعد الشهر الثالث يبدأ اهتمامه بالعالم المحيط به، وتكون موجات المغص قد انتهت من حياته تقريباً، وبذلك ينتهي عذاب الأم من صراخ الطفل في الليل. وإذا استمر في الصراخ لأنه اعتاد أن تحمله، عليها تركه يصرخ ولو لمدة ثلث ساعة، وسيتلاشى هذا الصراخ تدريجياً.

إذاً ليست هنالك قواعد سحرية يمكننا أن نربي بها الطفل الأول بسهولة، ولكن هذا هو التصرف المنطقي والضروري، لأنه يحقق للطفل قدرة على تحمل الانفصال الجزئي عن الأم، ويتعلم أيضاً انه لابد أن يتحرر من الاعتماد المطلق عليها... وهذا يساعد الأم على التخلص من الخوف الشديد على الطفل. وينصح أن تقدم له رضعاته في مواعيد شبه منتظمة بعد الشهر الثالث، وبهذا تتدرب معدته وأمعاؤه على هضم الطعام والاستفادة منه، ولا مانع من أن توقظه في موعد رضاعته. وستصبح مواعيد الرضاعة كل أربع ساعات بدلاً من رضعة كل ساعتين. وهكذا يحصل الطفل على قدرة من النظام في تبادل الطعام.

إن مسألة اعتماد الطفل المطلق على أمه وأبيه هي مسألة شعور الأم وحالتها النفسية. لأننا نؤمن إيماناً كبيراً أن الأم الواثقة من نفسها والمطمئنة لا تقوم بإرضاع طفلها كلما بكى. وبالمقابل فإن الأم غير الواثقة من نفسها تدخل في نفس الطفل

الإحساس بضرورة اللجوء إليها لأقل سبب يضايقه، ولأتفه مسألة يواجهها.

وبهذا تفرض الأم غير الواثقة من نفسها على طفلها ستاراً من الحماية يشبه الستار الحديدي. وهذا يوضح لنا لماذا يصر بعض الأطفال على الاستيقاظ ليلاً خلال نهاية عامهم الأول رغم عدم الحاجة إلى ذلك...

لكن الأم التي تعود طفلها على ميعاد ثابت للرضاعة، أو شبه ثابت خلال الشهر الثاني أو الثالث بعد ميلاده، تعلمه الاطمئنان والاستقلال في وقت واحد.

إن النصف الثاني من عام الطفل الأول مرحلة يرغب فيها في الاستقلال عن أمه، ولكن سلوك الأم في بعض الأحيان هو الذي يجعله يحتار بين الاعتماد المطلق عليها او الاستقلال عنها، فهو في هذه الفترة يستطيع أن يجلس ... وبعد قليل يزحف ثم يقف ويبدأ في مسك الأشياء والألعاب المطاطية إضافةً إلى ورق الصحف والملاعق والدمى ... ومن الطبيعي أن تطول ساعات يقظته خلال النهار، وبالتالي يحاول أن يشغل كل هذا الوقت في اكتشاف كل ما حوله ... ويحاول أن يتذوق كل شيء بلسانه، أو يعضه بأسنانه الصغيرة التي بدأت بالظهور، ويغتبط الطفل عندما يلعب مع أمه ويرغب في الزحف من حجرة إلى أخرى.

وتزداد شكوى الأم من بكائه عندما يبقى في الحجرة بمفرده، رغم أنه أتم عامه الأول. وهناك بعض الأطفال يستيقظون في منتصف الليل رغم أنهم كانوا قد تعودوا من قبل أن يناموا نوماً عميقاً معظم الليل. وهذا الاستيقاظ الطارئ يحدث نتيجة لأي توتر طارئ يصيب الطفل، مثل نوبة برد أو التهاب في الأذن، أو ظهور أسنان أو أي شيء آخر. وهنا تسهر الأم بجانبه وتحمله على ذراعها. فيعتاد على الذراعين. ويصبح كائناً مزعجاً للغاية، لأن استيقاظه يصبح عادة لديه ويرهق الأم جسدياً وعصبياً، إذا تأكدت الأم من شفائه عليها تركه يصرخ مدة ليلتين متتاليتين كما فعلت عندما كان في شهوره الأولى فيتعلم أن صراخه غير مفيد، ويعود للنوم ثانية ... ولا عجب في ذلك فالطفل يعرف تماماً أحاسيس الكبار ويلتقطها برادار حساس للغاية.

وقد يحاول الطفل أن يستولي على معظم وقت الأم أثناء النهار ... ولاشك أنها تشعر بالفرح عندما تلعب معه. ولكن في بعض الأحيان تفقد ثقتها بنفسها وتخاف من جرح مشاعره، فتستجيب كل مطالبه، وبذلك تكون ضحية لاستغلال طفلها طوال النهار...

ومن مجرد أن يستيقظ من نومه يطلب أن يركب على أكتافها، أو يريد منها أن تشاركه اللعب، أو يود أن تصفق وتغني له وتحمله على ذراعيها طوال النهار..

وعندما تشعر الأم بالتعب تجد نفسها مضطرة أن تضعه على أرض الغرفة فيبدأ بالصراخ لتحمله مرة أخرى، وإذا استجابت له يشعر بأنه صاحب حق، ويعتاد تحقيق هذا الأمر وغيره من الأمور عن طريق الصراخ، ويرى أن ذراعها أفضل مكان في الحياة... ويزداد ضيق الأم طبعاً لا شك في ذلك، بل تتجمع في قلبها المتعب جداً سحب كثيفة من الضيق. ويتسرب هذا الضيق لطفلها، ويزيده إصراراً على الاستئثار الكامل بها... صحيح أننا نحب اللعب مع أطفالنا .. ولكن وصول الأمر إلى هذا الحد متعب ومرهق لأعصابنا، لذلك علينا ألا نلعب معه إلا إذا شعرنا أننا مستعدون لذلك، وفي الوقت الذي نراه مناسباً وليس كلما أراد. عليه أن يعرف من البداية أن عملاً ينتظر الأم، وأنه عليه أن يحترم ذلك، ولكن على ثقة تامة أنه قادر على تعود ذلك. لأنه من الخطير فعلاً أن يرتبط ارتباطاً مرضياً بأمه فيعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة. فالمستقبل سيحتم ضرورة انفصاله عنها. وهذا الانفصال سيكون مؤلماً للاثنين معاً، وسيستغرق وقتاً طويلاً فلماذا لا تنقذ الأم نفسها من المتاعب قبل أن تأتي؟!.

إن ارتباط الطفل الشديد بأمه، واعتماده المطلق عليها سيجعل الأمر في النهاية بحاجة إلى علاج نفسي طويل. أما إذا استطاعت تعويده على الجلوس بمفرده أثناء قيامها بأعمالها، فإن ذلك سيجعله يملأ وقت فراغه بنفسه وبسعادة...

وعندما يشعر بالملل سيزحف في جميع أنحاء المنزل. شريطة أن نبعد عنه كل ما هو مؤذ له.

إن العام الثاني للطفل أكثر الأعوام مناسبة لتعويده على الاستقلال، لأنه أتقن المشي، وأصبح لديه اهتمامات أخرى تتعلق بلمس الأشياء وتجميعها واللعب مع الأطفال. وعندما تستطيع الأم تدريبه على الاستقلال عنها، فإنه لن يتجه إليها إلا إذا شعر بالخطر أو الخوف الحقيقيين.

وإذا كانت الأم ترغب فعلاً أن يستقل طفلها عنها فلا داعي على سبيل المثال أن تقفز من مكانها إذا وقع على الأرض وقعة خفيفة، ولا داعي لأن تثار أعصابها إذا صعد على احد الكراسي الموجودة في المنزل دون أن يؤدي ذلك إلى خطر ممكن. لأن الطفل عادة يحاول أن ينقذ نفسه من الورطات البسيطة، ولأنه إذا أصاب الأم الهلع في هذه الحالات يشعر الطفل أن الأمر خطير. ويشعر بوجود خطر دائم يحيط به، فيطلب حمايتها في كل لحظة... لنبتعد عن الخوف المبالغ فيه... ولنخرجه من المنزل بنزهات بسيطة، لأن هذا يعرفه على أن أنماط كثيرة من البشر، ويعوده اللعب مع الأطفال الآخرين.

وأخيراً لابد أن يكون ارتباط الطفل الأول بالأم أشد من ارتباط الطفل الثاني بها، وعلى الأم أن تخفف من درجة هذا الارتباط حتى لا يصبح عبئاً عليها وعلى طفلها في المستقبل[1].

١ـ تربية الطفل مشكلات وحلول ـ د. سلوى مرتضى، ح٢: ص٢٢ ـ ٢٧.

خبر ابن مهزيار الأهوازي مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف



عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: قال: روى أبو عبد الله محمد بن سهل الجلودي قال: حدثنا أبو الخير أحمد بن محمد بن جعفر الطائي الكوفي في مسجد أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثنا محمد بن الحسن بن يحي الحارثي قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي قال: خرجت في بعض السنين حاجاً إذ دخلت المدينة وأقمت بها أياماً، أسأل وأستبحث عن صاحب الزمان عليه السلام فما عرفت له خبراً، ولا وقعت لي عليه عين، فاغتممت غماً شديداً وخشيت أن يفوتني ما أملته من طلب صاحب الزمان عليه السلام فخرجت حتى أتيت مكة، فقضيت حجتي واعتمرت بها أسبوعاً، كل ذلك أطلب، فبينما أنا أفكر إذ انكشف لي باب الكعبة، فإذا أنا بإنسان كأنه غصن بان، متزر ببردة متشح بأخرى، قد كشف عطف بردته عن عاتقه، فارتاح قلبي وبادرت لقصده، فانثنى إلي وقال: من أين الرجل؟ قلت: من العراق، قال: من أي العراق؟ قلت: من الأهواز، فقال: أتعرف الخصيبي؟ قلت: نعم، قال: رحمه الله، فما كان أطول ليله وأكثر نيله، وأغزر دمعته قال: فابن المهزيار؟ قلت: أنا هو، قال: حياك الله بالسلام أبا الحسن، ثم صافحني وعانقني وقال: يا أبا الحسن ما فعلت العلامة التي بينك وبين الماضي أبي محمد نضر الله وجهه؟.

قلت: معي، وأدخلت يدي إلى جيبي وأخرجت خاتماً عليه محمد وعلي، فلما قرأه استعبر حتى بل طمره الذي كان على بدنه، وقال: يرحمك الله أبا محمد، فإنك زين الأمة، شرفك الله بالإمامة، وتوجك بتاج العلم والمعرفة، فإنا إليكم صائرون، ثم صافحني وعانقني، ثم قال: ما الذي تريد يا أبا الحسن؟ قلت: الإمام المحجوب عن العالم. قال: وما هو محجوب عنكم ولكن خباه سوء أعمالكم، قم سر إلى رحلك وكن على أهبة من لقائه إذا انحطت الجوزاء وأزهرت نجوم السماء، فها أنا لك بين الركن والصفا.

فطابت نفسي وتيقنت أن الله فضلني، فما زلت أرقب الوقت حتى حان، وخرجت إلى مطيتي واستويت على رحلي واستويت على ظهرها، فإذا أنا بصاحبي ينادي: يا أبا الحسن، فخرجت فلحقت به، فحياني بالسلام، وقال: سر بنا يا أخ، فما زال يهبط وادياً ويرقى ذروة جبل إلى أن علقنا على الطائف، فقال: يا أبا الحسن انزل بنا نصلي باقي صلاة الليل، فنزلت فصلى بنا الفجر ركعتين، قلت: فالركعتين الأوليين؟ قال: هما من صلاة الليل، وأوتر فيهما، والقنوت في كل صلاة جائز.

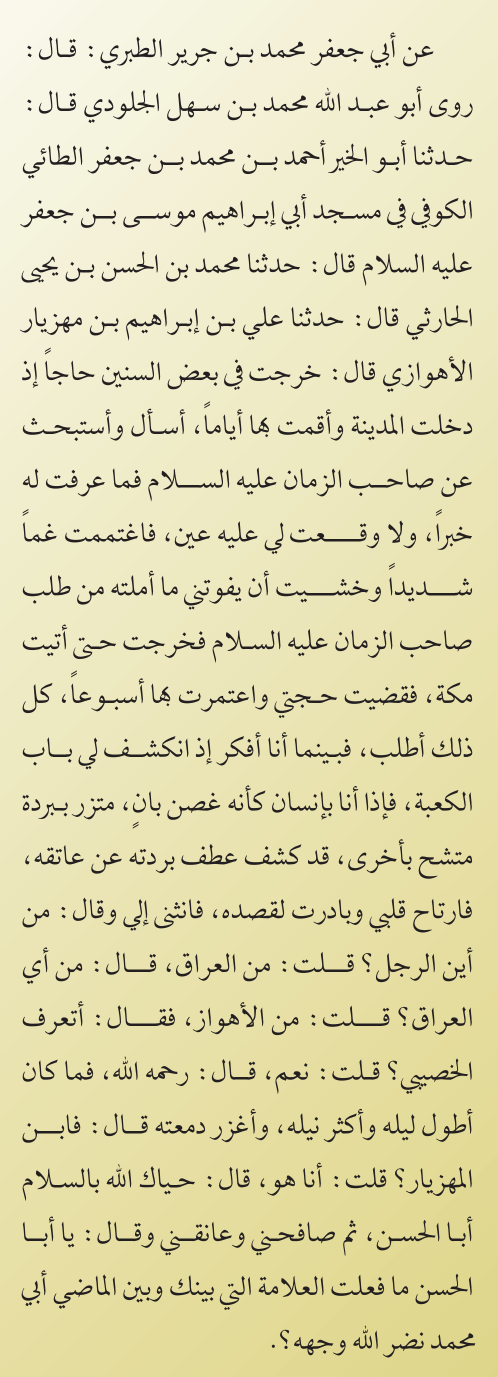
وقال: سر بنا يا أخ، فلم يزل يهبط بي وادياً ويرقى بي ذروة جبلٍ حتى أشرفنا على وادٍ عظيم مثل الكافور، فأمد عيني فإذا بيت من الشعر يتوقد نوراً، قال: المح هل ترى شيئاً؟ قلت: أرى بيتاً من الشعر، فقال: الأمل، وانحط في الوادي واتبعت الأثر حتى إذا صرنا بوسط الوادي نزل عن راحلته وخلاها، ونزلت عن مطيتي، وقال لي: دعها قلت: فإن تاهت؟.

قال: إن هذا وادٍ لا يدخله إلا مؤمن ولا يخرج منه إلا مؤمن، ثم سبقني ودخل الخباء وخرج إلي مسرعاً، وقال: أبشر فقد أذن لك في الدخول، فدخلت فإذا البيت يسطع من جانبه النور، فسلمت عليه بالإمامة، فقال لي يا أبا الحسن قد كنا نتوقعك ليلاً ونهاراً فما الذي أبطأ بك علينا؟ قلت: يا سيدي لم أجد من يدلني إلى الآن.

قال: لم تجد أحداً يدلك؟ ثم نكت بإصبعه في الأرض، ثم قال: لا ولكنكم كثرتم الأموال وتجبرتم على ضعفاء المؤمنين وقطعتم الرحم الذي بينكم، فأي عذر لكم الآن؟ فقلت: التوبة التوبة، الإقالة الإقالة، ثم قال: يا بن المهزيار لولا استغفار بعضكم لبعض لهلك من عليها إلا خواص الشيعة التي تشبه أقوالهم أفعالهم.

ثم قال: يابن المهزيار - ومد يده - ألا أنبئك أنه إذا قعد الصبي وتحرك المغربي وسار العماني وبويع السفياني يؤذن لي، فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأجيء إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة، وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة وأخرج من بها، وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادي مناد من السماء: يا سماء أبيدي ويا أرض خذي فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.

قلت يا سيدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرة الكرة الرجعة الرجعة، ثم تلا هذه الآية «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا»[1][2][3].



١ـ سورة الإسراء: الآية، ٦.

٢ـ دلائل الإمامة: ص٢٩٦.

٣ـ معاجز الإمام المهدي، السيد هاشم البحراني، ص٨١ـ ٨٤.



الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية



لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

تشكل الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية أجزاء رئيسة من تطورنا العلمي على مر القرنين المنصرمين، بينما لم يتطرق أحد لحين عام ١٨٠٠م إلى احتمال وجود الإشعاع خارج النطاق الضيق الذي تتداركه العين البشرية. وسع اكتشاف الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية من مجال الرؤية العلمية خارج حدود الضوء المرئي إلى حيث الطيف الإشعاعي بأكمله، ابتداء من الموجات الراديوية وانتهاء بأشعة غاما.

تعد الأشعة تحت الحمراء مفتاحاً للعديد من الاكتشافات الفلكية، إضافة إلى استعمال علوم الأرض لها في قياس الحرارة بمختلف الدراسات. اعتباراً من درجات حرارة المحيط ولغاية صحة الغابات. كما أن متحسسات الأشعة تحت الحمراء تعد الأساس في عمل صفارات تنبيه السرقة وإنذارات الحريق وغيرها من أجهزة التقصي الخاصة بالشرطة وفرق الإطفاء. اكتشف العلماء إمكانية الجهاز البصري للعديد من الطيور والحشرات على تقصي الأشعة تحت الحمراء. أما الأشعة فوق البنفسجية، فقد سمحت بفهم أفضل للإشعاع الشمسي وللأجزاء العالية الطاقة من الطيف. بضمنها الأشعة السينية والأشعة الدقيقة وأشعة غاما.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

ولد فريدريك هيرشل Frederick Herschel بمدينة هانوفر الألمانية عام ١٧٣٨م. منذ صباه، عرفت عنه موهبة خاصة بالموسيقى والفلك. فهو ذاته الذي اكتشف كوكب أورانوس عام ١٧٨١م، ليكون بذلك أول كوكب يكتشف على مر ألفي عام تقريباً.

بأواخر عام ١٧٩٩م، بدأ هيرشل دراسة لضوء الشمس. كان عادة ما يستعمل مرشحات ألوان لغرض فصل أجزاء الطيف الضوئي، فلاحظ سخونة بعض هذه المرشحات أكثر من قريناتها خلال دراساته تلك.

تبيانا لهذه الرؤية، صمم هيرشل موشوراً كبيراً للغاية، ووجه الطيف الضوئي الصادر منه على جدار بعيد في غرفة مظلمة وقاس الحرارة داخل كل من هذه الحزم الضوئية الملونة على حدة. فتعجب من ملاحظة ارتفاع درجة الحرارة باضطراد من منطقة اللون البنفسجي (الأبرد) حتى بلغت أقصاها عند منطقة اللون الأحمر. ثم فجأة خطر له أن يضع محراراً في الفراغ المظلم عند أقصى اليمين بجوار الحيز الأحمر (بعد الطيف الضوئي مباشرة).

يستعمل جهاز التحكم عن بعد للتلفاز الأشعة تحت الحمراء لضبط الصوت أو تغيير المحطة

كان حرياً بالمحرار أن يحافظ على برودته طالما أنه لا يقع ضمن أي حيز ضوئي مباشر. ولكن هذا لم يحدث قط، بل سجل المحرار الدرجة العليا قياسياً.

افترض هيرشل المذهول أن الشمس تشع موجات حرارية على امتداد الموجات الضوئية وأن هذه الأشعة غير المرئية تنكسر بدرجة أقل قليلاً خلال مرورها بالموشور قياساً بأشعة الضوء. ولم تنقض سوى أسابيع، ليذهل هيرشل أمام حقيقة أخرى. فأشعة الحرارة هذه تنكسر وتنعكس وتنحني و.... الخ من الخصائص المعروفة للضوء. ونظراً لموقعها تحت حيز الضوء الأحمر، أسماها هيرشل infraredأي «الأشعة تحت الحمراء».

ولد يوهان ريتر Johann Ritterهو الآخر بألمانيا وأصبح فيلسوفاً في علم الطبيعة. كان ضمن معتقداته الراسخة أن هناك اتحاداً وتناظراً في الطبيعة وبأن جميع قوى الطبيعة يمكن أن تعزى إلى قوة واحدة أساسية، هي الأوركرافت .Urkraft

في عام ١٨٠١م، قرأ ريتر عن اكتشاف مواطنه هيرشل للأشعة تحت الحمراء بشغف، إذ سبق له أن عمل على دراسة تأثير ضوء الشمس على التفاعلات الكيميائية كما وعمل في حقل الكيمياء الكهربائية «تأثير التيارات الكهربائية على المواد والتفاعلات الكيميائية». لاحظ ريتر خلال دراساته تلك تأثير الضوء على كلوريد الفضة، حيث يتحول لون هذه المادة الكيميائية من الأبيض إلى الأسود لدى تعريضها لضوء الشمس «وهو ما أصبح فيما بعد أساساً للتصوير الفوتوغرافي».

قرر ريتر إعادة تجربة هيرشل، لكن ليستطلع فيما لو أمكن لكل لون من ألوان الطيف تسويد مادة كلوريد الفضة بالدرجة ذاتها. فقام بصبغ قطع من الورق بمادة كلوريد الفضة، وكرر خطوات هيرشل بغرفة مظلمة، ولكن بدل قياس الحرارة عند كل لون من الطيف، قاس ريتر الزمن الذي استغرقه اسوداد قطع الورق عند كل لون على حدة. فلاحظ أن اللون الأحمر بالكاد يغير من لون مادة كلوريد الفضة، في حين يعتبر اللون البنفسجي الأسرع في ذلك.

وعلى غرار هيرشل، قام ريتر بوضع ورقة أخرى مطلية بمادة كلوريد الفضة في المنطقة المظلمة خلف حزمة اللون البنفسجي، فاسودت الورقة بأسرع مدة قياسية! رغم عدم تعرض هذه الورقة للضوء المرئي، فإن «إشعاعاً» ما قد أثر فيه وغير من لونها. إذن، اكتشف ريتر الأشعة فوق البنفسجية ultravioletعلى نفس الشاكلة التي اكتشف بها مواطنه هيرشل الأشعة تحت الحمراء[1].

---

(١) قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن. كيندال هيفن، ص٩٢-٩٤.

صدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة دراسة إسلامية معاصرة بعنوان: القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام.

كتاب يردّ مؤلفه فيه ما افتري على الإمام الحسن عليه السلام بكونه مطلاقا ومزواجا، هذه الفرية التي استغلها أعداء أهل البيت عليهم السلام للنيل من عصمتهم ومقامهم الرفيع، فجمع المؤلف في كتابه كل الروايات التي تتعلق بهذا الموضوع، فطرح في احد فصوله كل الروايات المذكورة في كتب أهل السنة وناقشها وأبطلها بالدليل الذي يقطع الطريق على كل متصيد، وفي فصل آخر جمع فيه كل الروايات التي ذكرت في الكتب الشيعية وإبطالها وردها، ثم استعرض المؤلف التاريخ الدقيق الذي تولدت فيه هذه الفرية والكذبة، واثبت بأنها من مختلقات الدولة الأموية والعباسية.

